

المخطوطات الإفريقية المكتوبة باللغة العربية ودورها في التعرف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا مخطوطات أحمد بابا التنبكي والشيخ موسى كمر نموذجاً

الدكتور قاسم جاخاتي، أستاذ مساعد

قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة شيخ أتا جوب، داکار، السنغال

ملخص البحث: كرسنا هذا البحث لدراسة مجموعة من المخطوطات التي كتبها باللغة العربية علماء من غرب إفريقيا وعالجوا فيها قضايا متعلقة بالتراث الإسلامي في تلك البلاد، ويتركز البحث على الدور الذي لعبته المخطوطات المذكورة في المحافظة على التراث الإسلامي المشار إليه وفي نقلها هذا التراث لأجيال متعاقبة في مناطق غرب إفريقيا. ومما يجدر ذكره أن الكنز الذي تركوه لنا في هذا المجال عظيم، ولهذا السبب حصرنا تحليلاتنا في عينات تتضمن لبّ ما في المخطوطات الأخرى، مأخوذة من مخطوطات لأحمد بابا المتوفى عام 1627م والشيخ موسى كمر المتوفى سنة 1945، وهما عالمان ومفكران من غرب إفريقيا تتسم كتبهما بالموسوعية.

Résumé

Le présent travail étudie des manuscrits que des érudits ouest-africains avaient écrits en arabe. Ils y traitent divers sujets relatifs au patrimoine islamique de la sous-région ouest-africaine.

Il met l'accent sur le rôle joué par lesdits manuscrits dans la conservation du patrimoine islamique et sa transmission de génération en génération à l'intérieur des pays concernés.

Il convient donc de souligner que le trésor qu'ils nous ont légué dans ce domaine est immense ; nous avons ainsi centré notre analyse sur quelques échantillons de manuscrits fort représentatifs réalisés par Ahmad Baba (m. 1627) et Sheikh Mûssâ Kamara (m. 1945), deux éminents intellectuels ouest-africains auteurs d'œuvres encyclopédiques.

المخطوطات الإفريقية المكتوبة باللغة العربية ودورها في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا مخطوطات أحمد بابا التنبكي والشيخ موسى كرا نموذجاً

مقدمة

نبدأ مقدمة البحث بالتعريف التالي للمخطوطات وهو: "كتاب لم يتم طبعه بعد، أي أنه مازال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره، أو أُخِذَتْ عنه صور فوتوغرافية أو أن يكون مصوراً بالمايكرو فيلم عن مخطوط أصلي"⁽¹⁾

ونلفت الانتباه إلى أن مدار اهتمام بحثنا يندرج في المخطوطات المكتوبة باللغة العربية دون غيرها، ولا يخوض بناء ذلك في موضوع المخطوطات التي ساهمت في التعريف بالتراث الإسلامي ولكنها مكتوبة بلغات المسلمين المنسوخة بحروف عربية على الرغم من كونها، حسب تعريف الدكتور أحمد شوقي بنين، جزءاً لا يتجزأ من المخطوط العربي الإسلامي: "إن المخطوط العربي الإسلامي هو المخطوط الذي تناول موضوعاً من الموضوعات الأدبية أو الفلسفية أو العلمية باللغة العربية ونسخ بالحرف العربي. ويتسع ليشمل مخطوطات الدول الإسلامية غير العربية كلغات إفريقيا السوداء واللغات الحامية كالأمازيغية واللغات الهندية الأوروبية كالفارسية والأفغانية والأوردو (urdu) أو الباكستانية والعثمانية والتركية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية التي استعارت حروف القرآن للكتابة."⁽²⁾

¹ د. فهمي سعد و د. طلال مجذوب: "تحقيق المخطوطات، بين النظرية والتطبيق"، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1993، ص 13.

² أحمد شوقي بنين، "ما المخطوط؟"، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد 337، السنة 45، العدد الأول، مايو - يونيو 2004

ونظرا لكثرة المخطوطات التي خلفها لنا علماء منطقة غرب إفريقيا اخترنا أن نكرّس هذا البحث لدراسة عيّنت من مخطوطات عالمين بارزين من أبنائها، أي أحمد بابا التنبكي والشيخ عثمان كمار. وتتمحور إشكالية البحث في تحديد طبيعة المخطوطات المشار إليها والمواضيع التي تنطرق إليها والمكتبات والأماكن التي توجد فيها، وكذلك طرق ووسائل مساهمتها في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا.

وحسب خطة بحثنا، نعطي أولا فكرة عامة عن حياة أحمد بابا ثم تتبعها بدراسة مخطوطات له ساهمت في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا، ونقدم عقب ذلك نبذة عن حياة الشيخ موسى كمار ثم نحاول بعد ذلك إلقاء ضوء على مساهمة مخطوطاته في التعريف بالتراث المذكور.

I أحمد بابا ومخطوطاته

1 حياة أحمد بابا

ولد أحمد بابا التنبكي السوداني في 21 ذو الحجة عام 963 هـ/26 أكتوبر 1556 م في قرية أوران التي تبعد من مدينة تمبكو بجوالي 300 كيلومتر، كما وردت في بعض الروايات، ولكن روايات أخرى تؤكد أنه وُلد في تمبكو نفسها⁽¹⁾. حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم النقلية والعقلية في مدينة تمبكو التي كانت في ذلك الزمن عاصمة العلوم والثقافة الإسلامية في بلاد السودان، ومركزا مرموقا للحوار والتبادل بين علماء غرب إفريقيا وزملائهم الوافدين من بلدان المغرب العربي. تربى أحمد بابا في كنف أسرة مشهورة بالعلم وفي بيئة سادت فيها حياة

¹ Mahmoud A. Zouber, "Ahmad Bâbâ de Tombouctou (1556-1627) sa vie et son œuvre", Maisonneuve et Larose, Paris, 1977, pp. 21-22.

علمية وفكرية مكثفة استغلها أحسن استغلال واستفاد منها استفادة عظيمة، ويبدو ذلك بوضوح فيما بينه حول علاقته بأستاذه العلامة محمد بن محمود ابن أبي كر الونكرمي التنبكي المعروف ببغيع. ونشر فيما يلي النص الذي كتبه أحمد بابا في هذا الصدد على الرغم من طوله، للاستفادة من المعلومات القيمة التي تتضمنها، بخصوص البرامج والمناهج الدراسية التي كانت مطبقة في عصره، وكذلك بعض مساهمات أحمد بابا وأستاذه في مجال تأليف ونشر العلوم العربية الإسلامية: "... لازمته أكثر من عشر سنين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه، أما خليل فمرارا عديدة نحو عشر مرات أو ثمان بقراءتي وقراءة غيري، وحضرت عليه التوضيح كذلك لم يقني منه إلا اليسير من الوديعة إلى الأفضية عليه وختمت عليه الموطأ قراءة تفهم، وحضرته كثيرا في المنتقى والمدونة بشرح المحلي ثلاث مرات وألفية العراقي في علم الحديث مع شرحهما، وحضرتهما عليه مرة أخرى وختمت عليه تلخيص المفتاح مرتين وبعض الثالث بمختصر السعد وصغرى السنوسي مع شرح الجزائرية وحضرت عليه الكبرى وشرحا وقرأت عليه حكم ابن عطاء الله مع شرح زروق عليه ونظم أبي مفرقة والهاشمية في التنجيم مع شرحها ومقدمة التاجوري فيه ورجز المغيلي في المنطق والخزرجية في العروض بشرح الشريف والدمايني وكثيرا من تحفة الحكم لابن عاصم في الأحكام مع شرح ولده عليها، وسمعت بقراءته هو كثيرا من البخاري ومسلما كله ودولا من مدخل ابن الحاج وبقراءة غيري دروسا من الرسالة والألفية وغيرها. وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملا وهو مجلد كبير وموضع آخر منه وباحثه كثيرا في المشكلات وراجعته طويلا في المهمات. وبالجملة فهو شيعي وأستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه، رحمه الله ونفعه، وأجازني جميع ما يجوز له وعنه وكتب لي بخطه في ذلك وأوقفه على بعض تآلفي وتقاييدي فكتب لي بخطه الثناء والمواقفة بل كتب عني أشياء من أنجائي لحسن نيته، وسمعت يثقل في دروسه بعضها لإنصافه وتواضعه وقبوله

الحق حيث تعين. وكان حاضرا معنا يوم الكائنة العظمى علينا تنبكت فنجاه الله تعالى، فكان آخر عهدي به، ثم بلغني وفاته بها يوم الجمعة من شوال في عام اثنين وألف، رحمه الله تعالى وأخبرني أن مولده سنة ثلاثين وتسعمائة، وله تعاليق وطرر نبه فيها على هفوات لشرح خليل وغيره وتتبع شرح التتائي الكبير من أوله إلى آخره فبين ما فيه من السهولة وتقريراً في غاية الإفادة، وقد جمعتهما في عدة كراريس تأليفاً مستقلاً، وله فتاوي عديدة.⁽¹⁾

ذكر أحمد بابا فيما سبق مجموعة من الكتب التي كانت تُدرس في زمنه، وعبر عن حبه العميق للعلم الذي بذل مجهوداً جباراً في طلبه حتى تبخر في مختلف فنونه، ونال إجازات من شيوخه تشهد على طول بابه فيها، وأشار إلى براعته في مجال الكتابة وتأليف الكتب وإلى إشادة أستاذه بما كان يكتبه واقتباسه منه واستعانة به أحياناً في تدريسه. كما ذكر ما سماه بيوم الكائنة العظمى مشيراً بذلك إلى غزو جيش الدولة السعدية لبلاد السودان عام 999هـ/1591م ووقوعه في أسر المغاربة الذين نقلوه قسراً، هو وأسرته، إلى مراکش سنة 1002هـ/1593م. وقد مارس أحمد بابا التدريس والتأليف في تمبكت وفي مراکش وحقق في ذلك نجاحاً باهراً تدل عليه كثرة من تتلمذوا به أو أخذوا منه وكثرة ما تركه لنا من مخطوطات نفيسة⁽²⁾.

2 إشعاع مخطوطات أحمد بابا وتأثيرها

لأحمد بابا مخطوطات كثيرة وموجودة في مختلف مكتبات مالي، ونيجر ونيجريا، والمغرب، وتونس، والجزائر، وفرنسا، وغيرها. ذكر منها محمود زير ستة وخمسين عنواناً كما أعطى

¹ أحمد بابا التنبكتي، "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص 602-603.

² حسن الصادقي، "مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزانة المغربية"، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1996، ص 5-7.

معلومات قيمة عن 32 منها، وقدم أيضا تحليلات دقيقة لحتوى ثمانية منها في أطروحته لدكتوراه السلك الثالث التي كرسها لدراسة حياة وأعمال أحمد بابا⁽¹⁾. وقد كتب حسن الصادقي، في بحثه المخصص لمخطوطات أحمد بابا في الخزائن المغربية، أن نجم أحمد بابا طلع في تنبكت، وشع في مراكش، وأضاء في مختلف الأقطار الإسلامية، بفضل ما تركه "من تراث فكري متنوع أغنى حقل الثقافة الإسلامية" بالإسهامات في مجالات تراجم العلماء والصالحين، وفتاوى فقهية تتعلق بمشكلات عصره، كحكم استعمال التبغ أي التدخين، واسترقاق السودانيين، وشرحه ما استغلقت وصعب فهمه من مختصر الشيخ خليل ومن مستعصيات اللغة، الخ⁽²⁾.

وأفاد الباحث المغربي حسن الصادقي بأن معاصري أحمد بابا وتلامذته وغيرهم من العلماء الذين أتوا بعدهم، أفردوا له بتراجم وافية، واعتمدوا في الكثير من مؤلفاتهم على مخطوطاته أو اقتبسوا منها، وأضاف بأن الباحثين المعاصرين المتخصصين في الدراسات الإفريقية في قارات إفريقيا وأوروبا وأمريكا وآسيا اهتموا بها وكرسوا لها العديد من البحوث والدراسات الأكاديمية، كما ترجموا بعض أعماله ونظموا ندوات حولها. وبرر حسن الصادقي اختياره دراسة مخطوطات أحمد بابا في الخزانة المغربية دون غيرها باعتبارها، منها كونه من نبغاء زمانه في الثقافة العربية الإسلامية، وتركه العديد من المؤلفات في هذا الحقل، وكذلك كون أغلب مخطوطات أحمد بابا محفوظة في الخزائن المغربية العامة والخاصة⁽³⁾.

¹ Ahmad Bâbâ de Tombouctou (1556-1627) "Mahmoud A. Zouber, ¹ , op. cit. p. 128-187."sa vie et son œuvre

² حسن الصادقي، المرجع السابق.

³ حسن الصادقي، المرجع السابق.

ونفهم مما سبق أن مخطوطات أحمد بابا كانت تُشكّل مرجعا أساسيا لأجيال من العلماء والكتاب، ودائرة اهتمام الجامعات ومراكز البحث العالمية المتخصصة في الدراسات الإفريقية والإسلامية التي اعتبرت منبعا غنيا من منابع التراث العربي الإسلامي في غرب إفريقيا تنفجر منه معارف صافية تروي الظما وتنور الفكر. ولأحمد بابا مخطوطان يعرف الأول باسم معراج الصعود ويُسمى الثاني بكفاية المحتاج، تقدم فيما يلي عرضا موجزا لمحتوياتهما التي تنم عن جوانب خاصة للتراث الإسلامي في غرب إفريقيا.

أ مخطوط معراج الصعود

والعنوان الكامل للمخطوط هو: معراج الصعود إلى نيل حكم مجلب السود أو الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان لأحمد بابا التنبكي. ومعراج الصعود عبارة عن مجموعة أجوبة ردّها أحمد بابا على أسئلة وُجّهت إليه حول حكم الاسترقاق، وتتمحور حول النقاط السبعة التالية: 1- حكم الرقيق المجلوب من البلاد السودانية المسلمة حسب وجهة نظر الفقه المالكي؛ 2- حكم الرقيق الذي هويته مجهولة؛ 3- معاملة الرقيق المجلوب من الحبشة حسب معطيات السيرة النبوية وسيرة صحابته عليهم الصلاة والسلام؛ 4- إنكار أسطورة دعاء نوح على ابنه حام وعقبه وتقنيدها؛ 5- شروط الاسترقاق عند المسلمين؛ 6- مسألة استرقاق العرب؛ 7- أحوال المولدين.

ونظرا للاستحسان والقبول اللذين لاقاه المخطوط لدى سكان شمال إفريقيا وغربها، دأب المسلمون في هذه الأقطار على اقتناء نُسخه وقراءتها خلال قرون، وانتشرت نتيجة لذلك في المكتبات وخزائن الكتب الخاصة والعامة⁽¹⁾.

¹ فاطمة الحراق وجون هانويك، في تقديم تحقيقهما لكتاب "معراج الصعود لأحمد بابا"، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2000، ص 13-21.

وبناء على ما ورد في تقديم الباحثة المغربية فاطمة الحراق والباحث الأمريكي جون هانويك اللذين حققا المخطوط وترجماه إلى اللغة الإنكليزية، توجد في مدينة الرباط وحدها ست نسخ في الخزانة العامة، وثلاث نسخ في الخزانة الحسينية، ونسخة واحدة في خزانة مؤسسة علال الفاسي وأخرى في معهد الدراسات الإفريقية، وتوجد في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحث في مالي نسخة واحدة، وفي المكتبة الوطنية بباريس نسخة واحدة، وفي جامعة إبدان بنيجريا نسخة واحدة أيضا. كما توجد في بعض الخزانات الخاصة في المغرب ومالي أربع نسخ⁽¹⁾.

ب مخطوط كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج

يتضمن هذا المخطوط، الذي نملك نسخة الكترونية منه، 662 ترجمة أو تاريخ حياة علماء من بينهم مؤلفه أحمد بابا نفسه، وبرر ذكر تاريخ حياته في المخطوط بالعبارات التالية: "ولما كانت النفوس تشوق لمعرفة مؤلفي الكتب رأيت أن أذكر نفسي هنا لئلا يجهلني من وقف على هذا الجزء، لأنني معدود في زمرة الناس..."، ثم ذكر أن أجداده كانوا من كبار العلماء والفقهاء الذين تولوا القضاء في تمبكت منذ القرن التاسع الهجري، وأتى بعد ذلك بمعلومات وافية عن ظروف تعلمه وعن نشاطاته في مجال التدريس والتأليف والفتوى في تمبكت وفي مدينة مراكش المغربية، التي كان منفيا فيها. وأكد أحمد بابا أن إقبال الطلبة المغاربة إلى دروسه كان عظيما وأن اسمه اشتهر في المغرب العربي، من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر. وأخبر أيضا بأنه وُلد ليلة الأحد حادي وعشرين من ذي الحجة ختام عام ثلاثة وستين وتسع مئة حسب ما ورد ذلك في خط والده، وأن عمره كان يناهز خمسين سنة زمن كتابته المخطوط، ووضع في نهاية المخطوط المصادر والمراجع. وهذا المخطوط من المصادر الرئيسية لحياة ومؤلفات علماء السودان والمغرب العربي الذين عاشوا حتى نهاية القرن

¹ فاطمة الحراق وجون هانويك، المرجع السابق، ص 26.

السادس عشر الميلادي. ويصف فيه المؤلف بدقة تامة تطور الحياة العقلية والفكرية في البلاد المذكورة، وكذلك المدارس ومراكز التعليم العالي وبرامج الدراسة وموادها وكبار العلماء والفقهاء في بلاد السودان وأقطار المغرب العربي في تلك الفترة⁽¹⁾. هذا ويوجد مخطوط كفاية المحتاج في مكبات عدة دول منها: موريتانيا، والجزائر، وليبيا، وتونس، وفرنسا، ومصر، ومالي، وتركيا، والمملكة العربية السعودية⁽²⁾. وتجدر الإشارة إلى أن مصدر النسخة الالكترونية من مخطوط كفاية المحتاج التي في حوزتنا صادرة من مكتبة الأزهر الرقمية⁽³⁾. نتقل الآن إلى الشيخ موسى كمرًا ومخطوطاته.

الشيخ موسى كمرًا ومخطوطاته

1 نبذة عن حياته

ولد الشيخ موسى كمرًا حوالي سنة 1863 م، في قرية كَمَكِيل Ganguel الواقعة على بعد عشرات كيلومترات من مدينة مَاتَاَم الموجودة في شرق السنغال، ولا نملك عن أحوال والديه إلا معلومات قليلة صادرة منه، تتعلق ببعض الصفات التي أخبر بأن أباه الشيخ أحمد، المشهور بـ **محمد دود**، كان يتميز بها، مثل الشجاعة والحلم والذكاء، وكذلك صفات التقوى والصبر والعطف على الفقراء والإحسان إليهم التي كانت تتحلّى بها والدته السيدة مريم دأدّة. وكان موسى كمرًا ولدا ذكيا تعلّم القرآن الكريم من عدة مدارس لتحفيظ كتاب الله. وقد أشار،

¹ مخطوط " كفاية المحتاج "، نسخة جامع الأزهر، رواق المغاربة رقم 893، وانظر أيضا: Mahmoud A. Zouber, Ahmad Bâbâ de Tombouctou (1556-1627) sa vie et son œuvre, op. cit. p.155.

² أنظر حسن الصادقي، المرجع السابق، ص 44.

³ عنوان موقع مخطوطات مكتبة الأزهر المذكورة:

<http://www.alazharonline.org>

في سيرة حياته التي كتبها بقلمه، إلى تنوع تعليمه: "... ثم علمني رجل آخر في فول جابو اسمه سارن محمود القرآن أيضا ثم قرأت أيضا في أرض البياضين الصحراوية (موريتانيا) في حيّ لمتون دكبابر على حافظ مجاز اسمه عبد أول سفاف، ثم ذهبت عنه إلى حافظ آخر مجاز أيضا اسمه محمد فال ول..."⁽¹⁾.

ثم بدأ بعد ذلك في دراسة العلوم الدينية، وسافر إلى معظم المدارس التي كانت منتشرة في السنغال ومالي وغينيا وموريتانيا، وتعلم من أحسن علمائها العلوم والفنون التي تخصصوا فيها، وقد درس الطالب موسى كمرا خلال رحلات التعلم الطويلة التي قام بها لغات وتقاليدها المناطق التي زارها وتراثهم الثقافي والفكري، ونقل غالبية معلوماته الموسوعية في الكتب التي ألفها لاحقا. وقد ذكر في سيرة حياته جملة من الكتب التي درسها في الفقه المالكي والنحو واللغة والأدب، وحاول أن يبرر كثرة تجوله لطلب العلم بالعبارات التالية: "ولن قيل هذا جولان كثير أقلّ إنهم، أي أهل الله قد قالوا إن السالك قبل وصوله لا سكّون له ولا قرار" وأخبر بأنه كان يحفظ بسرعة لكل ما يقرؤه أو يسمعه ولكنه كان يحبّ اللهو ويمضي أوقات كثيرة في اللعب، ويهمل دروسه⁽²⁾.

ويبدو أنه تخلص فيما بعد من لهوه وإهماله، وأقبل إلى مطالعة الكتب إقبالا شديدا، ثم أصبح من أشهر علماء غرب إفريقيا. وقد كتب في هذا الصدد ما يلي: "وكنيت في زمن البلوغ إذا نظرت إلى اللوح المكتوب نظرة واحدة أحفظ ما كتب فيه وكان أقراني الذين هم فوقني في

¹ عامر صمب، الأدب السنغالي العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ، ص 149-150.

A.Samb, Essai sur la Contribution du Sénégal à la Littérature d'Expression Arabe, IFAN-Dakar, 1972, pp. 107-109.

² عامر صمب، المرجع السابق، ص 152.

القراءة إذا سمعتُ المعلم يعلمهم أحفظ ما علمهم وإذا غبنا عن المعلم يسألونني فأعلمهم
أحزابهم التي قرؤوها وأنا أسمع. . ."، وأضاف: "ومع هذا الذكاء كله قد غلب عليّ حبُّ
اللهو والغفلة والعياذ بالله تعالى فلذلك قلّ علمي الذي قرأته على معلم فلم يزد علمي إلا
بالمطالعة فيفهمني العليم الحكيم غالب ما في الكتب التي طالعها" (١).

ونستج مما سبق أن الشيخ موسى تلقى العلم من أستاذة مختلفين، ونهل من معين التراث
الفكري والثقافي للبلدان التي تجول فيها، ونوع معارفه وعمقها من خلال الكتب الكثيرة التي
طالعها. وتجدر الإشارة إلى أنه كان مرتبطا بعلاقات صداقة مع أدباء وشعراء وفقهاء
وزعماء دينيين وسياسيين كبار في جميع البلدان التي زارها، وقد استقر الشيخ موسى كمرا
في قريته خلال السنوات الأخيرة من حياته التي كرّسها للتأليف والتدريس، وتوفي عام 1945
م (٢).

هذا وللشيخ موسى كمرا مخطوطات سنحاول إعطاء فكرة عامة عنها فيما يلي.

2 مخطوطات الشيخ موسى كمرا

وللشيخ موسى كمرا مخطوطات كثيرة يمكن تصنيفها حسب الترتيب التالي:

¹ عامر صمب، المرجع السابق.

² عامر صمب، المرجع السابق، ص 154. انظر أيضا مقدمة كتاب " الشيخ موسى كمرا، أشهي العلوم
وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر"، تحقيق خديم محمد سعيد امباكي وأحمد شكري، منشورات معهد الدراسات
الإفريقية، الرباط، 2001، ص 8-11.

أ مخطوطات في التاريخ

-زهور البساتين في تاريخ السوداين أو انتصار الموتور في ذكر قبائل فوتا تور أو إحياء ما عفا
واندرس من علوم تاريخ السودان، والمخطوط عبارة عن مجلدين كبيرين يتضمن أحدهما 451
ورقة، ويحتوي الآخر 450 ورقة.

-المجموع النفيس سرا وعلائية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلائية، وهو عبارة عن
جزأين يحتوي الأول 183 ورقة، ويتضمن الثاني 134 ورقة.

-أشهى الخبر في حياة الشيخ الحاج عمر، يحتوي المخطوط 79 ورقة.

-تبشير الخائف الحيران، 64 ورقة

-تنقية الأفهام من شبهات الأوهام، 50 ورقة

-أكثر الراغبين في الجهاد بعد نبينا من يختار الظهور وملك البلاد ولا يبالي بمن هلك في جهاده
من العباد، 36 ورقة

-تاريخ داره في زغاوة 4 ورقات

ب مخطوطات في الدين

-الحق المبين في إخوة جميع المؤمنين واتحاد طرق سائر السائرين بطريق الذكر والمجاهدة إلى
حضرة رب العالمين، يحتوي المخطوط 148 ورقة

-كاد أن يكون الاتفاق والالتزام بين دين النصارى ودين الإسلام، ويحتوي 35 ورقة

-حصول القرب والوصول ونيل كل المنى والسؤل في ذكر الله وبألمسك بأثار الرسول

-العز الأسمى والحرز الأحمى في ذكر الأوراد

-منية السائل في الصلاة على أسنى الوسائل

-البساتين الياقة المجتمعة في الكلام على صلاة الجمعة

-حزب النصر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأسماء أهل بدر

-مزج الكواكب الدرية بالأسماء الإدرسية في الصلاة على خير البرية

-بلوغ القصد في ذكر الأسماء الحسنى

-تقايد مفيدة على مختصر خليل

-رفع الحرج والإثم عمن تعاطى ما لا يضره من الدخان والشم

-علم المقيد

ت مخطوطات في النحو واللغة والأدب

-دليل السالك على معاني ألفية ابن مالك، وهو شرح كبير لكتاب ألفية ابن مالك في النحو

-آلة العلوم على اليقين البت في شرح دواوين الشعراء الست

-الأستاذ الكافي في علمي العروض والقوافي

-تفصيل عقود الجمان بالدر والمرجان^(١).

2 أهمية مخطوط زهور البساتين

لا شك في أن لجميع مخطوطات الشيخ موسى كمرأ أهمية كبيرة ولكن لمخطوط زهور البساتين وأزهي الخبر أهمية خاصة، يؤكد لها الاهتمام الكبير الذي أولاه له الباحثون بصفة عامة والمتخصصون في الدراسات الإفريقية بصفة خاصة، وسنحاول تحليل محتوى المخطوط وتوضيح دوره في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا .

2 2 محتويات مخطوط زهور البساتين

بين داود روبنسون David Robinson، الباحث الأمريكي المتخصص في تاريخ الإسلام بغرب إفريقيا، أن الشيخ موسى كمرأ كتب معظم مخطوطاته خلال العقد الأخير من حياته، وأكد أنه كتب مخطوطه الرئيسي زهور البساتين، الذي يحتوي ألفا وسبع مئة صفحة، من عام 1920 إلى 1925 م^(٢). وأوضح أن المؤلف عالج في هذا المخطوط مواضيع مختلفة، ذكر منها سيرة حياة علماء ووجهاء وحكماء مشهورين في السنغال وبعض بلاد غرب إفريقيا، وكذلك تطورات الأحداث التاريخية التي لها تأثير قوي في تلك البلاد. وقد تبنى الشيخ موسى كمرأ في مخطوط زهور البساتين خطة بحث تمثل في تسجيل المعلومات

¹ عامر صمب، المرجع السابق، ص 154-156، Samb A., Essai sur la Contribution du Sénégal à la Littérature d'Expression Arabe, pp.111-112.

انظر أيضا Collectif, Catalogue des Manuscrits de l'I.F.A.N., n° XX. Dakar, 1966, pp. 93-96.

² Robinson David, Un historien et anthropologue sénégalais : Shaikh Musa Kamara, in Cahiers d'Etudes africaines, 109, XXVIII-1, Paris, 1988, volume 28, n° 109, pp. 89-116.

المكتوبة والمروية المتعلقة بموضوعه بدقة، وتصنيفها بعد ذلك حسب المناطق أو السلالات المعنية بذلك، مع ذكر أسماء من استقى منهم معلوماته، وتوضيح ما فيها من تناقضات وتناقض، بالإضافة إلى عرض نتائج أفكاره ورأيه في الموضوع برمته⁽¹⁾. وأكد داود روبنسون في تحليله الدقيق والموثق لمخطوط زهور البساتين أن في كتاب الشيخ موسى كمرا معلومات قيمة تتعلق بمناطق وسط النيجر وأعالي السنغال، وإمبراطوريات واكادو Wagadu، ومالي، و سنغاي، وبظروف تأسيس الدولة الإسلامية الأمامية في فوتا، والهجرات الجماعية الناتجة من جهاد الحاج عمر الفوتي، ومابه جاجوبه، وغيرهم.

3 2 تأثير زهور البساتين وإجراءات طبعه وترجمته

يعود أول مسعى كان الغرض منه طبع زهور البساتين، إلى زمن حياة المؤلف؛ وقد ورد ذلك في مضمون رسالة باللغة العربية كتبها إليه المستعرب والإداري الفرنسي المتخصص في علم الإنسان موريس دلافوس Maurice Delafosse، وإليك نصها: "بعد البسملة من الوالي موريس دلافوس إلى المؤرخ الماهر والمؤدب العالم الشيخ موسى بن أحمد الفوتي السلام عليكم وعلى أولادكم وعائلاتكم كلها مع بركة الله تعالى ورحمته في الدنيا والآخرة فموجبه أن أخبركم بالجزء الأول من كتابكم المسمى "بانتصار الموتور في ذكر قبائل فوت تور" إنه قد أفضى به إلي الوالي "كدين" حفظه الله تعالى من كل شر آمين فتعجبت من المهارة التي أظهرتموها في تأليف هذا الكتاب فهو مهم ومفيد جدا وما كتب مثله حتى الآن في أهل التكرور وأنا لا زلت أجتهد في ترجمته إلى الفرنسية وفي استعداد طباعته بالعربية وبالفرنسية ولكن هذا عمل عظيم يقتضي دواما عديدا لأنني أشغل بشغول أخرى كثيرة ولكن أترجى أن أكمله إن شاء

¹ Robinson David, Un historien et anthropologue sénégalais :
Shaikh Musa Kamara, op. cit. p.100.

الله تعالى... فأبو زوجتي هوداس قد ترجم وطبع تاريخ السودان وتذكرة النسيان لعبد
الرحمان السعدي وأنا قد ترجمت وطبعت معه " تاريخ الفتاش " لمحمود كعتي وظننت أن
تكون مكانة تأليفكم بهذه التأليف القديمة فنصر الله علينا والسلام⁽¹⁾.

أما آخر إجراء اتخذته هيئة بحثة فرنسية لطبع الجزء الأول من مخطوط زهور البساتين فيرجع
إلى السنوات الأخيرة من القرن العشرين، ويعود الفضل في ذلك إلى مجموعة من الباحثين ذوي
تخصصات متنوعة أعدوا الجزء المذكور للترجمة والطبع تحت إشراف عالم اجتماعي فرنسي
اسمه جان شميتر Jean Schmitz، متخصص في التراث الديني والثقافي والفكري
للفلانيين، وبرعاية مراكز أبحاث علمية فرنسية كبيرة، وصدرت الطبعة الأولى من العمل
الجماعي المذكور عام 1998 من دار منشورات المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا
CNRS Editions⁽²⁾.

وقد نشر جان شميتر بحثا لخص فيه مضمون مخطوط زهور البساتين، الذي كان حينئذ
تحت الطبع، كما بين فيه أيضا ظروف ترجمته وإعداده للنشر: " ألف (الشيخ موسى كمرا)
كتابه الضخم تاريخ أهل السودان المسلمين، أي زهور البساتين، وجمع فيه التراث المكتوب
والأحداث التاريخية لدول الفلانيين التي أسست بعد حروب الجهاد التي دارت رحاها، من
صكو شرقا إلى فوت تورو غربا. وقد كرس المؤلف لدولة فوت تورو، التي كانت واقعة
وسط وادي السنغال، ثلاثة أرباع كتابه الذي يحتوي 1700 صفحة. وقد ترجم إلى اللغة

¹ عامر صمب، المرجع السابق، ص 169.

² Pierre Bonté Shykh Muusa, Florilège au jardin de l'histoire des noirs. Zuhûr al-Basâfîn. I. L'aristocratie peule et la révolution des clercs musulmas (Vallée du Sénégal, Revue française d'anthropologie, n° 156, Paris, 2000, pp. 278-280.

الفرنسية هذا المخطوط الذي يجري طبعه حالياً، مع إضافة تعليقات عليها، فريقٌ مكوّن من باحثين سنغاليين وفرنسيين، منهم متخصصون في اللغة العربية، وفي التراث الفلاني، وفي علم الإنسان والتاريخ، يعملون في مراكز البحث التالية: المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء-شيخ أتا جوب، المدرسة العليا لتكوين المعلمين بذاكار، مركز البحث العلمي والتقني لما وراء البحار، والمركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا⁽¹⁾. وقامت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بطبع مخطوط زهور البساتين بجميع أجزائه في مجلد كبير مع تقديم وتحقيق وتعليق د. ناصر الدين سعيدوني ود. معاوية سعيدوني⁽²⁾.

وقد فهمنا مما سبق أن حجم مخطوط زهور البساتين كبير وأن المعلومات التي يتضمنها كثيرة ومتنوعة، الأمر الذي يجعل تقديم عرض شامل وواف لجميع محتوياته متعذراً في نطاق بحثنا، ولكننا نأمل أن تحفز السطور التي كتبناها حوله الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا إلى الاهتمام به وإجراء بحوث مستفيضة حول كافة مواضعه.

¹ Jean Schmitz, L'historiographie des Peuls musulmans d'Afrique de l'ouest : Shaykh Muusa Kamara (1864-1945), saint et savant, in BECKER CHARLES (DIR), MBAY S. (DIR), THIOUB I. (DIR) AOF : réalités et héritages : sociétés ouest-africaines et ordre colonial, 1895-1960. Direction des Archives Nationales du Sénégal, Dakar, 1997, pp. 862-872.

⁽²⁾ انظر الحاج موسى أحمد كامره، " زهور البساتين في تاريخ السودان " (مدونة شعوب غرب إفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا)، تقديم وتحقيق وتعليق د. ناصر الدين سعيدوني ود. معاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010.

الختام

لا ريب في أن المخطوطات التي كتبها علماء غرب إفريقيا باللغة العربية كثيرة ومتنوعة، نُشر القليل منها ولكن مجلدات كثيرة منها ما زالت قابعة في خزانات المكتبات المحلية والدولية الخاصة والعامة، في انتظار من يخرجها من رفوفها ليقوم بتحقيقتها والتعليق عليها ونشرها، أو يترجمها ويطبّعها ثم يضعها في متناول الذين يهتمون بها ممن لا يتقنون لغة الضاد. ويهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على طبيعة هذه المخطوطات وعلى قيمتها ودورها البارز في التعريف بتراث غرب إفريقيا الإسلامي.

وقد دفعنا ضخامة المخطوطات المذكورة وتنوعها إلى اختيار عينة من مخطوطات عالين بارزين من أبناء غرب إفريقيا، كانت لهما مساهمة فعالة في نشر التراث الإسلامي في غرب إفريقيا، وهما أحمد بابا والشيخ موسى كمر اللذان تبجرا في علوم ومعارف التراث الإسلامي بصفة عامة والغرب الإفريقي بشكل خاص، واكتسبا خبرات حياتية حثّتهما، ونشرا الكثير من علومهم ومعارفهم الموسوعية في مخطوطتهما.

وعلى الرغم من الجهد الذي بذلناه في دراسة طبيعة ومواضيع مخطوطات الكاتبين فإننا لم نعط إلا صورة عامة عن إنجازاتهما الفكرية، ومع ذلك نعتقد أن معطيات الدراسات والتحليلات التي أجريناها على النماذج التي اخترناها من مخطوطاتهما تكشف النقاب عن معظم حقائقهما، وتوضح لنا كثافة مواد التراث الإسلامي الكامنة فيها وأهمية الدور الذي تلعبه في التعريف به. وقد سعينا إلى تحقيق ذلك في تحليلنا لبعض مضامين "معراج الصعود" لأحمد بابا الذي يحتوي معلومات متعلقة بالتقاليد الإسلامية والاجتماعية والجغرافية والتاريخية لغرب إفريقيا، وفي عرضنا لمخطوط "كفاية المحتاج" الذي جاوزت مواضيعه حدود دول غرب إفريقيا، وكذلك لمخطوط "زهور البساتين" للشيخ موسى كمر الموسوعي الخاص بقضايا التراث الإسلامي لمناطق غرب إفريقيا.